« لقد اثبتت عمليات الهجوم ضد القوات الاسرائيلية ان لبنان ليس صحراء سيناء الرملية الجدباء ، حيث مكثت اسرائيل ١٣ عاما ، بل ان لبنان مستقع قد يتورط فيه الجيش الاسرائيلي على نحو لايرجى فيه خلاص» .

بهذه العبارات لخص رئيس الاركان الاسرائيلي رفائيل ايتان الموقف في لبنان بعد العملية البطولية (التي نفذتها «المقاومة الوطنية في لبنان» ضد مقر الحاكم العسكري في صور .

«ان علينا ان نتوقع استمرار «الارهاب الفلسطيني ضد اسرائيل مائة عام اخرى ، وان عملية الهجوم على سيارة ركاب في تل ابيب يوم السبت الماضي هي عملية غير عادية» .

وبهذه العبارات ايضا لخص رفائيل ايتان مستشار بيغن لمكافحة الارهاب» ، وهو غير رئيس الاركان ، الموقف في «اسرائيل» بعد العملية البطولية التي نفذتها «المقاومة الفلسطينية» في قلب فلسطين المحتلة» .

من بيروت الى تل ابيب !

المقاومة المسلحة مستمرة

لتعاصر الدعوات المشبوهة لاسقاط خيارنا العسكري

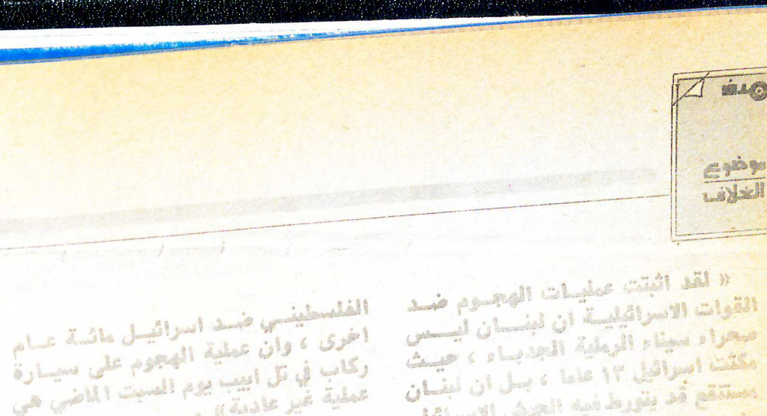

رافعة اسرائيلية تقطر الباص الذي وقع في كمين عرمون .

من بيروت الى تل ابيب ، مرورا بكل قرية ومدينة لبنانية او فلسطينية على حد سواء ، يتصاعد الكفاح الشعبي المسلح وتنتشر خلايا المقاومة الشعبية ضد الغزاة المحتلين .

من بيروت الى تل ابيب ، تحترق الارض العربية المحتلة تحت اقدام المحتلين ، ويتحول وجودهم الى عبء باهظ التكاليف وليس نزهة جميلة كما تخيل ويتخيل قادة العدو .

من بيروت الى تل ابيب ، يعلو صوت الجماهير الفلسطينية واللبنانية الرافض لمسيرة الاستسلام والتراجع التي شهدتها المنطقة العربية ، ويعلن بالرصاصة والقنبلة ان التيار الوطني التحرري في المنطقة العربية ، لايزال بخير ، وقادر على النهوض والمقاومة رغم كل الضربات التي وجهت اليه .

بالطبع ، ليست العمليات العسكرية اللبنانية ـــ الفلسطينية المتصاعدة ضد العدو ، وليدة لحظة سياسية طارئة ، او رد فعل مؤقت ينتهي بانتهاء الحدث الفعل . بل هي ثمرة نهج طويل من الممارسة العسكرية للقوات المشتركة اللبنانية الفلسطينية ، ضد اعداء لبنان وفلسطين الذين تعاقبوا على مر السنوات العشر الماضية او ما يزيد .

انها كذلك محصلة الدرس الكبير الذي اثبتته الحرب اللبنانية الاخيرة ، التي وقفت فيها القوات المشتركة ضد آلة الحرب العسكرية الصهيونية في اطول حرب عرفها الصراع العربي الاسرائيلي . ذلك الدرس الذي تشتد اليوم عمليات ثوار لبنان وفلسطين . . ويعني به ان سقوط حرب الشعب والكفاح الجماهيري الذي خرج منتصرا من حرب لبنان ومن كل الحروب التي خاضها الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ضد العدو الصهيوني الرئيسي والفاشي .

وبهذا المعنى فان لبنان هو ساحة الصراع العربي الصهيوني الرئيسي ، وهي ساحة لا في حدود لبنان الجغرافية فحسب ، بل في كل قطر عربي تطأه اقدام الجيش الصهيوني ، وهي كذلك امتداد لكل ارض الثورة في مجرى الصراع العربي الصهيوني . والانتفاضة الجماهيرية اللبنانية ـــ الفلسطيني ، ممكن الثورة من الصمود طوال اشهر ثلاث اوقعت خلالها الاف الاصابات في صفوف العدو .

ان ظروف الاحتلال الساحق في توازن القوى بين الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية من جهة والعدو الاسرائيلي من جهة اخرى ، تجعل مرتكزات تقييم نتائج هذه الحرب تختلف من الناحية الجوهرية ، عما هو شائع ومعروف ، فتقييم هذه الحرب ينطلق اولا من مستوى الصمود والتصدي وثانيا من الخسائر التي الحقت بالعدو ، وثالثا من الروح المعنوية والصلابة السياسية التي تواجه بها الثورة قوى الخصم .

وانطلاقا من هذه المعايير الموضوعية ، فان الثورة الفلسطينية لم تخرج من حرب لبنان مهزومة ، فالصمود كان اسطوريا والحرب كانت الاطول في تاريخ الحروب العربية الاسرائيلية ، والخسائر في صفوف العدو فاقت حجم خسارته في كل حروبه الماضية والروح المعنوية للمقاتل الفلسطيني ظلت مرتفعة رغم الجحيم الذي انصب على لبنان عموما وبيروت على وجه الخصوص ، والموقف السياسي الفلسطيني اثناء الحصار عرف اعلى درجات توحده وتماسكه رغم كل ما قد يسجل من ملاحظات وانتقادات .

ان هذه التحديدات لاتساق على سبيل تجميل الهزيمة ، او تحويلها الى نصر كاذب مزعوم على الطريقة التي عودتنا عليها انظمة الهزيمة والاستسلام . بل نحن نسوق هذه المعطيات فقط لانها المعطيات الموضوعية .

صحيح ان الثورة الفلسطينية فقدت في لبنان ساحة عملها الرئيسية وصحيح كذلك ان ضربة موجعة الحقت بالتواجد العسكري الفلسطيني في بيروت وجنوب لبنان وبالعديد من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ، لكن الصحيح كذلك ان المسؤول الرئيسي عن نتائج هذه الحرب ليست الثورة الفلسطينية وانما الوضع الراهن للمنطقة العربية والتي تسير تحت قيادة الانظمة الرجعية العربية نحو مزيد من الارتباط بالعجلة الامبريالية .

فالتواطؤ الذي مارسته الانظمة الرجعية العربية ، وحالة العجز والتردد التي اصابت البعض الاخر واتاحت للعدو ان يزج بالجزء الرئيسي من قواته الى لبنان وان يصل الى بيروت تاركا جبهاته الاخرى شبه خالية مطمئنا الى حقيقة ما يجري على غير ساحة عربية .

ان ابسط استقراء لمعطيات الحرب الاخيرة يكشف صحة هذه الوقائع .

المقاومة الوطنية اللبنانية :
٤١ هجوما واكثر من ٢٨٢ قتيلا وجريحا خلال ٤ أشهر في صفوف قوات الاحتلال الصهيوني

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة السفير البيروتية تقريرا اجماليا عن نشاط المقاومة الوطنية اللبنانية ضد العدو الصهيوني خلال الاشهر الاربعة الاولى التي اعقبت دخول الجيش الاسرائيلي لبيروت .

وقد جاء في التقرير «بدأت العمليات ضد قوات الاحتلال في ٢٣ ايلول ١٩٨٢ في كورنيش المزرعة في بيروت وكانت عملية اطلاق النار على الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يجلسون في مقهى «الوريبي» في الحمراء ، والتي وقعت في اليوم التالي لعملية كورنيش المزرعة .

واضافت الصحيفة «اكثر من مؤشر الى ان اي فستقرار قد يشعر به المحتل في بيروت لن يصل الى درجة الركون للجلوس الى مقهى رصيف لتناول المرطبات في بيروت ، وكانت عملية تفجير مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في صور اكثر من مؤشر الى ان بقاء المحتل في ارض الجنوب سيكون باهظ الثمن» .

واستطردت الصحيفة «وبين عملية «الويمبي» وعملية صور وبعدها ، وقعت عشرات العمليات ، اعترف العدو ب٤١ منها ، كما اعترف بمقتل ١٠٢ جندي من قواته فيها ، اضافة الى جرح ١٨٠ جنديا وخطف اثنين .

بان واجه حربا شرسة من قبل «المقاومين» في لبنان ويعترف بعدد من القتلى والجرحى يفوق ال٢٣ الف جندي اسرائيلي ، واكثر من ٤ آلاف حالة تمرد من نوع رفض الاوامر ، او الهروب او ما شابهها .

كذلك فقد اوردتصحيفة «نيويورك تايمز» في تقرير لها ان مئات من جنود الاحتلال الاسرائيلي عانوا خلال غزو لبنان من امراض نفسية «انهيار هستيريا ، خوف .» تركوا نتيجتها المعركة .

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين «اسرائيليين» ان اكثر من ٦٠٠ جندي اضطروا للخروج من المعركة الى مستشفيات خاصة ومعسكرات لاعادة التاهيل» .

واكدت الصحيفة انه مقابل كل مئة قتيل وجريح اسرائيلي خلال حرب لبنان اصيب ٢٣ جنديا بامراض نفسية خطيرة» .

كل ذلك يؤكد على حقيقةان حرب لبنان كانت بمثابة انتصار لخط الكفاح المسلح الفلسطيني ، وهزيمة لكل دعاة اسقاط الخيار العسكري في المنطقة العربية .

المنعطف ودعوات المراجعة

لم يمض وقت طويل على الحدث اللبناني ، حتى بدأت تبرز الى السطح بعض الدعوات المشبوهة لاسقاط الخيار العسكري من قاموس السياسة الفلسطينية .

لا لاشيء في ذلك ما يدعو للدهشة والاستغراب ، والتحررية تبرز مثل هذه الدعوات ، وينتطح البعض «للمراجعة الشاملة» واعادة النظر في «المسلمات» . .

لكن الذي يدعو للدهشة والاستغراب ، ان تكون محصلة «الدرس اللبناني الكبير» دعوة لاسقاط الخيار العسكري للثورة الفلسطينية ، والذي اثبتت الحرب انه الخيار المنتصر لامحالة .

ويبدو التناغم واضحا بين هذه الدعوات المشبوهة وبين الاهداف التي اعلنها قادة العدو قبل واثناء غزوهم للبنان ، حيث اعلنوا اكثر من مرة ان هدفهم هو تحطيم البنية التحتية للثورة الفلسطينية واقتلاع «الارهاب» من جذوره وتوفير الامن والاطمئنان ليس للجليل فحسب بل ولكل فلسطين المحتلة .

ويبدو كذلك التناغم واضحا بين هذه الدعوات التي تشكك بصلاحية ونجاعة هذا النهج وبين المشاريع السياسية التي ازدحمت بها المنطقة والتي تستهدف الالتفاف حول منظمة التحرير الفلسطينية وتجريدها من خيارها العسكري لتصبح مقبوله من قبل «الشريك الكامل» او لتخرج من «مولد مبادرة ريغان ببعض الحمص» .

ان خطورة هذه الدعوات تكمن في كونها تشكل احدى الحلقات المركزية في توجه القوى المعادية اليوم حيث تحاول مختلف اطراف هذا الحلف ان تعيد صياغة التاريخ الفلسطيني المعاصر لتصل الى نتيجة مفادها عقم نهج الكفاح المسلح للثورة الفلسطينية .

ولعل ما يزيد في خطورة هذا الامر ، تسرب بعض هذه الدعوات الى اوساط فلسطينية ، ووقوعها في الشباك الرجعية وترويجها لذات المقولات والمفاهيم .

فالحديث عن ضرورة اظهار المزيد من «الاعتدال» واللجوء اكثر فاكثر للعمل السياسي والدبلوماسي تحت مبرر فشل الخيار العسكري ، هو الوجه الاخر لدعوات القوى المضادة للثورة في هذا المضمار .

ولاينبغي ان يفهم من ذلك بالطبع اسقاط اشكال الكفاح الاخرى ، بل على العكس من ذلك تماما ينبغي ابداء المزيد من التمسك بهذه الاشكال واتقان قوانينها واساليبها ، لكن يبقى الكفاح المسلح هو الشكل الرئيسي والحاسم للنضال الفلسطيني المعاصر ، وهو الرافعة لكل اشكال الكفاح الاخرى .

العمليات الاخيرة : التواصل والتجاوز

شكلت العمليات العسكرية الاخيرة في لبنان وفلسطين والتي كانت حصيلتها عشرات القتلى والجرحى في صفوف العدو ، ردا عمليا على دعاة اسقاط الخيار العسكري ، كما شكلت ردا حازما على ادعاءات قادة العدو حول الوضع في لبنان .

ففي حين اعلن قادة الجيش الاسرائيلي في لبنان ان الحرب قد انتهت وان ثمارها تقطف اليوم «بردا وسلاما» على اسرائيل» ، جاءت هذه العمليات النوعية لتثبت زيف هذه الادعاءات ، ولتدفع بهؤلاء القادة انفسهم الى مراجعة ادعاءاتهم والى الاقرار «بان الحرب في لبنان لم تنته بعد» كما جاء على لسان رئيس الاركان الاسرائيلي «وان حكومة مناحيم بيغن اخطات عندما اعتقدت انه بالامكان اجتثاث الثورة الفلسطينية من جذورها عن طريق غزو لبنان» . كما اعلن ذلك اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق .

كذلك فقد فاجأت هذه العمليات «عرب اميركا» الذين اسقطوا في فاس خيار الحرب مع العدو ، وبشروا بانتهاء الظاهرة المسلحة الفلسطينية ـــ اللبنانية .

لقد اثارت العمليات العسكرية الاخيرة ضد العدو في لبنان وفلسطين موجة من القلق والخوف لدى الاوساط الصهيونية الامر الذي دفع بمستشار رئيس الوزراء الاسرائيلي لشؤون مكافحة الارهاب الى القول بان «على اسرائيل ان تقيم في لبنان شبكة اعلامية واخرى لمكافحة الارهاب على غرار الشبكة التي اقمناها في الضفة الغربية وغزة منذ ١٢ عاما والتي اتاحت السيطرة بطريقة فعلية على اوجه النشاط التخريبي» ، مذكرا بعمليات الملاحقة الشرسة والاعتقالات ونسف المنازل التي كانت تقوم بها السلطات الاسرائيلية في اواخر الستينات ومطلع السبعينات .

لكن ايتان ـــ المستشار هذا يذكر قبل غيره ان هذه الشبكة ، وهي كذلك لن تكون مجدية في لبنان مهما عظمت براعة العدو وقدرته في مكافحة «الارهاب» .

لقد اثبتت المعارك ـــ العمليات الاخيرة في لبنان وفلسطين ان روح المقاومة المسلحة لم تمت في جماهيرنا ، وان درس لبنان لن يذهب سدى ، وان «بروفة» الحرب الاخيرة ستتحول الى انتصار حقيقي حين تكتمل شروط هذا الانتصار .

عماد الرحايمة